

المحاضرة الاولى : البدايات التاريخية لعلم النفس الجنائي (النشأة)

تمهيد :

ان علم النفس الجنائي علم واسع له علاقة بالعديد من العلوم والميادين من بينها علم النفس وعلم الاجتماع والقانون وغيرها ، ويعد العامل المشترك الواضح بينهم هو السلوك الانساني والذي تسعى هذه العلوم كلها لفهم طبيعته ووصفه ومعرفة دوافعه واشكاله ، وعلم النفس الجنائي هو فرع تطبيقي من فروع علم النفس يهتم بتطبيق المعارف والمعلومات والنظريات النفسية في مجال الجريمة .

اولا: البدايات التاريخية لعلم النفس الاجرامي :

في عام 1893 قام العالم "جيمس ماكين كاتل" بتوجيه بعض الاسئلة الى مجموعة من طلبة جامعة "كولومبيا" مكونة من 56 طالبا ومن بين الاسئلة التي قدمها مثلا : كيف كان الطقس في الاسبوع الماضي ؟ هل تسقط اوراق شجرة البلوط في مطع الخريف او في اواخره ؟ ...وعندما قدم "كاتل" هذه الاسئلة فانه يمكن اعتبارها اول محاولة علمية لدراسة كيفية تقييم الشهادة من الناحية النفسية السيكولوجية لكون هذه الاسئلة هي من قبل الاسئلة التي يمكن ان توجه من القاضي الى الشهود ، فتلاميذ "كاتل" العديد منهم اخطئوا في الاجابة عليها وهم يعتقدون انهم على صواب ، وهذه التجربة تعتبر من بدايات علم النفس الجنائي لأنها اثارت الاهتمام بدراسة العوامل النفسية التي تؤثر على كفاءة الشهادة القضائية

وفي اروبا قام العالم الفرنسي "الفرد بينيه" عام 1900 باجراء دراسات عن كفاءة الشهادة القضائية ونشر عام 1905 كتابا عن دراسات علم النفس القضائي .

كما اجرى العالم الالمانى "وليم شترن" عام 1901 تجربة رائدة في علم النفس الجنائي حضرها طلاب جامعة "برلين" الذين يدرسون القانون وكانت التجربة عبارة عن معركة بين طالبين حول احدى القضايا بحيث اشهر ادهم مسدسه وتدخل "شترن" وانهى الشجار وطلب من الطلاب الادلاء بشهادتهم حول الواقعة كتابة وكانت الاجابة مختلفة رغم ان طلبة يعرقلون العوامل المؤدية الى تحريف الشهادة .

وقد توصل "شيترن" الى ان الانفعالات الشديدة تؤدي الى تدني كفاءة عملية استرجاع او التذكر بمعنى ان تحدث اخطاء في التذكر والاسترجاع اذا كانت عملية المشاهدة مشحونة بشحنة انفعالية قوية.

ومع بداية القرن العشرين كان يستفاد من علماء النفس على انهم خبراء في تقييم الشهادة القضائية ومن القضايا الشهيرة التي عرفت في هذا المجال جريمة وقعت عام 1896 في المانيا قام رجل بيتل ثلاث نساء ، وقد قام بدراسة هذه القضية المختص في علم النفس "توتزنج" حيث صاحب تحقيق القضية ضجة اعلامية كبيرة أثرت على شهادة الشهود بحيث اصبح الشهود لا يميزون بين الوقائع التي كانوا شهودا عيانا عليها وبين الوقائع التي تداولتها الصحف ، فأصبحوا يخطون بين ما شاهدوه بأنفسهم وبين ما تروجه الصحف من معلومات عن الحادثة ، وهنا يتأكد تأثير الايحاء على تذكر الواقعة الجنائية وعلى الشهادة بوجه عام .

- منستربرج munsterberg: مؤسس علم النفس الاجرامي أو الجنائي:

هو علم امريكي ألماني الاصل ، اهتم بتطبيقات علم النفس في مجالات الحياة اليومية وعلى رأسها المجال الصناعي والمجال الجنائي ، وهو يعتبر الأب الروحي لعلم النفس التطبيقي .

وفي عام 1908 اصدر كتابا بعنوان "على منصة الشهادة" وقد أشار فيه إلى مشاهداته وملاحظته لما يقع اثناء المحاكمة من مداخلات ، فعلماء النفس يستطيعون فهم الجوانب النفسية في الشهادة القضائية ، وأن الانحيازات والانفعالات والدوافع فيها قدر من النقص والتناقض ، وهذا الكتاب لم يلقى قبولا من الجهات القضائية.

وفي عام 1914 نشر "منستربرج" مقاله تحت عنوان "الجوانب النفسية عند المحلفين" وكانت هذه الدراسة نتيجة بحوث أجريت على الطلاب والطالبات في جامعتي "هارفاد" و"راد كليف" وفي هذه الدراسة أكدت على ضرورة استبعاد النساء من هيئات المحلفين على اساس الطالبات اقل كفاءة في دقة الاحكام واتخاذ القرارات من الطلاب.

ورغم بعض التحفظات التي اثيرت حول "منستربرج" على أنه أثار قطيعة بين علم النفس والقانون ، وذلك لرفض أعضاء الهيئة القضائية ما اعتبروه تدخلا في عملهم ، إلا أن انجازاته تعدا جزءا لا يتجزء من تاريخ علم النفس الجنائي.

- لويس ترمان Terman:

كان "لويس ترمان" أول عالم نفس طبق الاختبارات النفسية على المتقدمين للعمل في الشرطة عام 1916 في ولاية "كاليفورنيا" واختبارات على 30 شخصا متقدمين لشرطة وكانت اعمارهم تتراوح بين 21-38 سنة وكانوا ذو مستويات تعليمية متدنية وكانت النتائج ان ثلاثة منهم فقط من كانت نسبة الذكاء عندهم اعلى من 100 والبقية كانت نسبة الذكاء بين 78-84 وتم استبعادهم.

- مود ميريل Merrill:

قامت "مود ميريل" عام 1927 بتطبيق اختبارات ألفا على مجموعة من رجال الشرطة والمتقدمين للعمل بالشرطة ، وكانت نسب ذكاء هذه المجموعة مختلفة عن سابقتها حيث بلغ متوسط نسب الذكاء 104 ومن الواضح التعارض الشديد بين نتائج هذه الدراسة ونتائج الدراسة السابقة مما يدل على انه ليس في جميع الاحوال يتجه الاشخاص من ذوي الذكاء المنخفض للعمل في الشرطة .

وفي بداية القرن العشرين اهتم علماء النفس بدراسة كيفية تفسير السلوك الاجرامي والتعرف على أسباب الجريمة ، وفي عام 1913 اسفرت دراسات اجراها "جودارد" أن معظم الجانحين سواء كانوا من الاحداث أو من الكبار تتدنى نسبة الذكاء لديهم بحيث ظهر اتجاه تفسيري يربط بين الجريمة وتدني نسبة الذكاء.

وقد ساهم بعض علماء النفس في تفسير السلوك الاجرامي وذلك في اطار نظريتهم التي قدموها تحت مسمى نظريات الشخصية ومن هؤلاء "فرويد".

- وليام مارستون Marston :

عام 1922 عين على وظيفة استاذ علم النفس القانوني في الجامعة الامريكية ، وكان متأثرا كثيرا بالمجال الاجرامي والجنائي ، وقد درس علم النفس على يد "منستربرج" فقد عمل باحثا في مختبر علم النفس ، اجرى عام 1917 دراسة كشفت العلاقة بين محاولة الكذب وارتفاع ضغط الدم ، وهذا البحث له علاقة وثيقة بجهاز كشف الكذب واستخداماته في المجال الجنائي ، كما

اشترك في تقديم الاستشارات العلمية الى بعض المؤسسات المهتمة بدراسة الجريمة ، ومساعدة المحلفين لفهم الجوانب النفسية المتعلقة بالشهادة والمحاكمة ، فبحوثه لاقت نجاحا كبيرا بسبب خلفيته القانونية وقدرته الفائقة على تطويع المعلومات ذات الطابع السيكولوجي لخدمة الموضوعات الجنائية.